# الفصل الخامس

## أدباء ومفكرون تحت قبة البرلمان

من المعروف أن نظم الحكم الديمقراطى ترتكز على مبدأ تقسيم السلطات، فهذه سلطة تشريعية وأخرى تنفيذية وثالثة قضائية، وكل منها لها اختصاصاتها المنفصلة عن الأخرى، بحيث لا تعوق أو تطغى إحداها على الأخريين: بل إن كل واحدة تصبح رقيبا على السلطتين الأخريين فى مناخ ديمقراطى سليم.

أما الصحافة - بما ينشر فيها من تحقيقات وآراء وأفكار - فيعتبرها الفكر السياسى الحديث السلطة الرابعة، ومن أهم اختصاصاتها مراقبة تصرفات السلطات الثلاث، عن طريق النشر الهادف، وما تنقيه من ضوء كاشف، على المخالفات والانحرافات؛ لإطلاع الرأى العام أولا بأول على حقائق الأمور، بهدف المحافظة على مقدرات الأمة ومنجزاتها، وحقوق الأفراد وممتلكاتهم. وهنا تأتى نقطة التماس أو الالتقاء بين العمل الصحفى أو الفكرى والنشاط البرلمانى أو السياسى بوجه عام.

### الشعر والسياسة:

لابد وأن ثمة علاقة ما بين السياسة والشعر. فالتاريخ السياسى حافل بمجموعة من الأعلام، الذين برزوا فى المجالين: الأدبى أو الفكرى،

والعمل السياسى. ومن أبرز هذه الأسماء فى تاريخنا القريب، على سبيل المثال لا الحصر: شـاعر السيف والقلم محمود سامى البارودى، والشاعر الرومانسى الحالم إسماعيل صبرى، والشاعر المسرحى المبدع عزيز أباظة، حتى إن هناك من يربط بين الاشـتغال بالسياسة والشعر. فلأستاذ كامل زهيرى - رئيس تحرير الهلال الأسبق - رأى طريف فى مسألة اشتغال الأستاذ العقاد بالكتابات السياسية والمنازلات الحزبية حيث يقول: لو لم يكن الأستاذ العقاد شاعرا، شديد الحساسية، قوى الشعور، متقد الفكر، لما أصبح كاتبا سياسيا منارلا، ومجادلا، ومعارضا. فلم يصبح العقاد كاتب حـزب الوفد الأول، فى الثلاثينيات، وفى معاركه ضد الملك فؤاد، إلا لما تميز به من قوة الشـاعرية التى تسند الأفكار السياسية، تلك التى تنزل فى نفسه منزلة العقيدة... لقد أدت ثقافة العقاد العقلانية، والليبرالية، كما أدت مواهبه إلى أن يصبح كاتب لشعب الأول[1] ولم يكن غريبا أيضا أن «مصر» كلها قد لقبته بالكاتب الكبير. وبالفعل فقد كانت حياة العقاد سلسـلة من المنازلات والحروب المتصلة حتى إنه يصف ذلك بنفسـه فى كتابه «أنا» ليعلن أنه قد تصدى لمذاهب الهدم والطغيان وحارب التبشير والإنكار والجحود كما حـارب الأحزاب والملوك وحارب هتلر ونابليون وحارب المستعمرين فى صفوف الديمقراطيين وحارب أعداء الأدب المسمى بالقديم كما حارب أصدقاء الأدب المسـمى بالجديد، وحارب الصهيونية وحارب النازية، ألد أعداء الصهيونية!

(١) مجلة «الهلال». عدد أبريل عام ١٩٦٧).

## أدباء البرلمان

أما نجوم البرلمان من المفكرين والأدباء فيتقدمهم عملاق الفكر العربى الأستاذ العقاد - رحمه الله - ومنهم أيضا الأديب والمفكر والسياسى الكبير الدكتور محمد حسين هيكل، الذى يضعه تاريخ الأدب الحديث، موضع الريادة فى فن القصة، فهو صاحب أول قصة مصرية بعنوان «زينب»، التى تحولت بعد ذلك إلى فيلم سينمائى بالعنوان ذاته. ومنهم أيضا الصحفى الكبير والقانونى الشهير والمتحدث اللبق الأستاذ فكرى أباظة - رحمه الله - رئيس مجلس إدارة دار الهلال الأسبق، ومنهم أيضا الكاتب الروائى الأستاذ ثروت أباظة - رحمه الله- الذى كان وكيلا لمجلس الشعب لأكثر من دورة برلمانية، وغيرهم.

## العقاد

أما الأستاذ العقاد فقد هجر الوظائف الحكومية ليعمل فى مطلع حياته بالصحافة فتنقل للعمل بعدد من الجرائد المشهورة فى ذلك الوقت. هذا، جنبا إلى جنب مع اهتمام خاص بنظم الشعر والتأليف الأدبى والاهتمام بقضايا الفكر بشكل عام حتى إنه نشر كتابه «الإنسان الثانى» عام ١٩١٢ وكتابه «مجمع الأحياء» وديوانه الأول «يقظة الصباح» عام ١٩١٦، وفى العام التالى نشر ديوانه الثانى «وهج الظهيرة» (١٩١٧). ثم عمل مدرسا لمدة عامين ليعود للعمل بالصحافة مرة أخرى عام ١٩١٩ بجريدة «الأهالى» حتى عام ١٩٢٠، ليعمل بعدها بجريدة «الأهرام» ثم فى دوريات أخرى حتى جاءته الفرصة ليعمل بصحيفة «البلاغ»

وذلك فى عام ١٩٢٣ ليبدأ عصره الذهبى فى عالم الصحافة والسياسة، إلى أن خرج العقاد على الوفد عام ١٩٣٥.

وقد دخل البرلمان أكثر من مرة. ففى ١٩٢٩- كما يقول الأستاذ راسم الجمال[1]- فقد طغت الأمور المتعلقة بالانتخابات على اهتمام العقاد منذ صدور المرسوم الملكى بإجرائها فى الثانى من نوفمبر من العام ذاته، وحتى إجرائها فى الحادى والعشرين من الشهر نفسه. وقد حرص العقاد فى كتاباته على تمجيد الوفد وحكمته وإصلاحاته التى قدمها للبلاد فى فترات حكمه السابقة، وعلى الطعن بشدة فى الأحزاب المنافسة. كما عالج القضايا المتعلقة بعملية الانتخابات. وناقش الدروس المستفادة من نتيجة الانتخابات والتى رأى أن أظهرها وضوحا هو أن مبدأ الوفد هو مبدأ الأمة كلها. وقد فاز العقاد بالتزكية فى هذه الانتخابات عن دائرة بولاق فكان واحدا من ١٠٥ ممن فازوا بالعضوية فى تلك الانتخابات وكان تعليقه على ذلك: القول فى نتيجة الانتخابات بالترشيح غنى عن إطالة التعليق: ثقة تامة بالوفد المصرى وخذلان تام لخصومه، وليس هذ بجديد ولا هو بالأمر الذى كان فيه شك عند أحد من الأنصار أو الخصوم، فالوفد بالإيجاز هو الأمة. والبرلمان المصرى بالإيجاز هو الهيئة الوفدية ماعدا أفرادا قلائل هنا وهناك هم الشذوذ فى هذه القاعدة، ولابد فى كل قاعدة من شذوذ!

(١) راسم الجمال (١٩٧٩).عباس العقاد.. رجل الصحافة، رجل السياسة. العدد ٤٤٤ من سلسلة اقرأ. دار المعارف بمصر. ص ١٥٠.

## العقاد ومعركة الدستور

إيمان العقاد بالحرية مطلق بلا حدود. وهو فى هذا الباب يعد فى طليعة كتابنا السياسيين الذين اهتموا بهذا المبدأ وكرسوا حياتهم له حتى إن البعض يعتبرونه رمزا لهذه الحرية فى أجلى معانيها وفى ذلك يصفه أديبنا الكبير الأستاذ نجيب محفوظ بقوله: إنه الحرية بكل ما تعنى من أبعاد.. وهو الحرية إذا التمسنا لشخصيته فكرة يرمز بها إليه.

فقد هاجم العقاد الديكتاتورية فى كتابه «الحكم المطلق فى القرن العشرين» (١٩٢٨). وفى العام التالى نشر كتابه «اليد القوية فى مصر» (١٩٢٩). وكان من أشد المؤمنين بالديمقراطية فهو القائل: الديمقراطية ليست نظاما للحكم وحده بقدر ما هى منهج للحياة كلها. وغايتها أن ترد الأوطان إلى شعوبها، وأن تضع جميع قوى الاقتصاد والسياسة والاجتماع فى خدمة الإنسان معتمدة على العدل فى إنجاز ذلك كله.

فى عام ١٩٣٠ كان العقاد عضوا فى البرلمان (مجلس النواب)، وكان قد أشيع فى ذلك الوقت أن الملك (أحمد فؤاد) سيحل البرلمان ويعطل الدستور. الأمر الذى جعل العقاد يستشيط غضبا حتى إنه وقف شامخ الأنف والنفس والعقل. وهو لا يكاد يملك نفسه من الحماس والعنفوان، ليقول قولته الشهيرة، التى جاءت ضمن خطاب له بالبرلمان، وهى: «ألا فليعلم الجميع أن هذا المجلس مستعد أن يسحق اكبر رأس فى

البلاد فى سبيل صيانة الدستور وحمايته»[1]. فقوبل ذلك بتصفيق حاد استمر أكثر من عشر دقائق!

ولم يكتف العقاد بذلك بل إنه قد نشر مجموعة من المقالات بدأها فى التاسع من سبتمبر عام ١٩٣٠، هاجم فيها الملك والقصر وحرض على الثورة وقلب نظام الحكم والتخلص من أسرة محمد على كلها ومن هذه المقالات:

- الوزارة البريطانية والأزمة المصرية الحاضرة.
- الاستقلال لحرية مصر وسعادتها لا لاستعباد مصر وتعذيبها.
- الرجعيون والإنجليز المحليون.
- سيعدل الدستور ولكن كيف؟
- الرجعية: العدو الأكبر فى الأزمة الدستورية الحاضرة وغيرها من مقالات.

وفى ١٤ من أكتوبر وقبل حل البرلمان بأسبوع استدعى إلى سراى النيابة تمهيدا لتقديمه للمحاكمة بعد حل البرلمان وسقوط حصانته البرلمانية.

## العقاد يدخل السجن ويخرج منه قويا

ويبدو أن العقاد كان يتوقع ذلك. إلا أنه لم يذهب بفكره إلى مسألة السجن حيث يذكر فى كتابه «عالم السدود والقيود» الذى حرره عقب

(١) أحمد إبراهيم الشريف (١٩٨٧). العقاد وأسرة محمد على. المكتبة العصرية. صيدا - بيروت. ص ١٢٥.

فترة سجنه: لم تقع منى هذه الرحلة بين الدار والسجن موقع المفاجأة.. فقد كنت انتظرها منذ زمن طويل، ولو على سبيل الحجز الذى ينتهى بإفراج سريع.

فقد عطلت الحياة النيابية فى وزارة صدقى باشا، وجمعت بعض مقالاته السياسية العنيفة التى نشرها فى جريدة «المؤيد الجديد»، والتى أشرنا إلى بعضها آنفا، وفى ١٤أكتوبر ١٩٣٠ استدعت النيابة كلا من العقاد ومحمد فهمى الحضرى صاحب الجريدة ثم أجرت معهما تحقيقا مطولا حول ما نشر من المقالات سالفة الذكر، ثم وجهت إلى العقاد تهمة العيب فى الذات الملكية استنادا إلى نص المادتين ١٥٦ و١٥٦ مكرر من قانون العقوبات، لينتهى التحقيق بسرعة مذهلة خلال ثلاثة أيام أى فى ١٦أكتوبر، مما يشى بما اتخذ ضد العقاد من قسوة ورعونة غير مسوغين لتحيلها فى اليوم ذاته إلى محكمة مصر الأهلية لقيدها وإعلان قرار الاتهام فيها.

وفى ٢٥ ديسمبر١٩٣٠ بدأت محاكمة العقاد لتنتهى بسرعة عجيبة فى ٣١ ديسمبر من العام نفسه ويحكم على العقاد بالحبس البسيط تسعة أشهر. وتنقضى هذه المدة القصيرة من عمر التاريخ بل ومن عمر العقاد نفسه ليخرج فخورا مرتفع الهامة، ليتوجه عقب خروجه مباشرة، فى كثرة من تلاميذه وأصدقائه ومحبيه، إلى ضريح زعيم الأمة سعد زغلول وينشد قصيدته الشهيرة «على ضريح سعد» التى جاء فى فيها:

وكنت جنين السجن تسعة أشهر  وها أنا ذا فى ساحة الخلد أولد
عداتى وصحبى لا اختلاف عليهما  سيعهدنى كل كما كان يعهد

وكما يقول نيتشه: فإن السم الذى لا يقتل يزيد قوة، فقد تضاعفت أسهمه فى ميدان الأدب والسياسة وواصل حملاته ضد خصومه وخصوم الوفد وظهر أفضل كتبه – من وجهة نظره ونظر الكثير من النقاد – وهو كتاب «ابن الرومى: حياته من شعره» فى العام نفسه (١٩٣١). وفى العام التالى يصدر له «تذكار جيتى» و«رواية قمبيز فى الميزان» (١٩٣٢) وبعد ذلك بعام يصدر ديوانى: «وحى الأربعين» و«هدية الكروان» (١٩٣٣). وفى أوائل عام ١٩٣٤، وعقب نظمه للنشيد القومى، اجتمع لفيف من كبار أدباء مصر ومفكريها وعلى رأسهم الدكتور طه حسين ليقيموا احتفالا كبيرا على مسرح الأزبكية لتكريم العقاد حضره جمهور غفير من الكتاب والصحفيين والأدباء، وأعضاء البرلمان والوزراء، وكرائم السيدات، ورجال التعليم. وتصدر المتحدثين الدكتور طه حسين الذى بايع العقاد وقتها بإمارة الشعر قائلا: «ضعوا لواء الشعر فى يد العقاد، وقولوا للأدباء والشعراء أسرعوا واستظلوا بهذا اللواء فقد رفعه لكم صاحبه».

كما يذكر التاريخ الأدبى والسياسى مخالفة العقاد للوفد ودفاعه الحار عن الدكتور طه حسين فى البرلمان. فى أزمته بشأن كتابه المصادر «فى الشعر الجاهلى».

## الدكتور هيكل

على الرغم من انغماس الدكتور محمد حسين هيكل فى السياسة واشتغاله بها طوال عمره، الذى امتد نحو ثمانية وستين عاما، سواء من الناحية الفكرية النظرية أو الوظيفية والتنفيذية، إلا إنه كان أديبا ومفكرا ورائدا للكتابات الإسلامية فى العصر الحديث. فقد حصل على الدكتوراه فى الاقتصاد والعلوم السياسية من فرنسا، عن رسالة حول: «الدَيْن المصرى العام» عام ١٩١٢. وقد نشر قصته «زينب» عام ١٩١٤ لتصبح أول قصة مصرية تُعرض على الشاشة الفضية عام ١٩٢٨. واشتغل عقب عودته من فرنسا بالمحاماة فترة من الوقت، بَيْد أنه هجرها ليعمل بالتدريس فى الجامعة عام ١٩١٧، فى الوقت الذى كان يمارس فيه الكتابة الصحفية بنجاح فى جريدة «الأهرام»، وقد توالت أيضا إصداراته الأدبية والفكرية، ثم تفرغ عام ١٩٢٢ لرئاسة تحرير جريدة «السياسة» التى أنشأها حزب الأحرار الدستوريين. وقد تولى وزارة المعارف مرتين، الأولى عام ١٩٣٨ فى وزارة محمد محمود باشا. والثانية عام ١٩٤٠ فى وزارة حسين سرى باشا، ثم عضوا فى مجمع اللغة العربية عام ١٩٤٢، ثم أخير رئيسا لحزب الأحرار الدستوريين عام ١٩٤٣، ثم وزيرا للمعارف ووزيرا للشئون الاجتماعية عام ١٩٤٤.

## هيكل رئيسا لمجلس الشيوخ

يقول المؤرخ الكبير الدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى: لما كانت مبادئ الدكتور هيكل واتجاهاته الفكرية تقيم حاجزا بينه وبين الجماهير فإنه لم يوفق أحيانا فى الانتخابات النيابية، ومن ثم فقد مارس نشاطه السياسى من خلال توليه مناصب وزارية - كما أشرنا آنفا- أو من خلال ترأسه لحزب الأحرار الدستوريين، أو من خلال مجلس الشيوخ الذى اختير رئيسا له فى يناير من عام ١٩٤٥، وظل رئيسا له أكثر من خمس سنوات، كان يؤمن خلالها أن المجلس ملك للأمة كلها، بغض النظر عن انتمائه الحزبى[١]. وقد أرسى خلال تلك الفترة - كما يقول الأستاذ حسن الشافعى - تقاليد دستورية أصيلة بمعاونة زملائه أعضاء المجلس، فهو ليبرالى، آمن بالحرية والدستور، وبأن الحكم وسيلة لا غاية، وأن باستطاعة المعارضة توجيه شئون الحكم، بالقدر الذى تستطيعه الحكومة القائمة، وأن الوصول إلى الحكم إن لم يكن أساسه الكرامة الذاتية فخير منه البقاء فى المعارضة.

وقد ظل طيلة حياته السياسية مُلتزما بالمبادئ الديمقراطية وبالمصلحة الوطنية. بحيث نلمس فى مذكراته سموا فوق الاعتبارات الحزبية، وتمسُّكا بقواعد الأخلاق السياسية، مع نزاهة واضحة، تطالعنا بين

---

(١) د. أحمد عبد الرحيم مصطفى (١٩٩٣). شخصيات مصرية. العدد رقم ٥١٦ من كتاب الهلال. ص ٦٨.

وقـت وآخر فى الأجزاء الثلاثة مـن مذكراته، وقد ظل مع ذلك يمارس نشاطه الأدبى والفكرى. فنشر مجموعة من الكتب مثل: «حياة محمد» (١٩٣٥) و «فى منـزل الوحى» (١٩٣٧)، و«الصديق أبو بكر» (١٩٤٢) و«الفـاروق عمـر» (١٩٤٥). وغيرها. وآخر ما ظهر لـه الجزء الثالث مـن مذكراته، الذى قام على إعداده للنشـر ابنـه الدكتور أحمد هيكل المحامى عام ١٩٧٧، أى بعد وفاته بنحو ٢١ عاما.

وعـن دوره فى مجلس الشـيوخ يقول عنه الدكتور عبد العزيز شـرف فى كتابه «محمد حسـين هيـكل والفكر القومى»: فـى وزارة أحمد ماهر تولى هيكل شـئون وزارتى المعارف والشئون الاجتماعية معا حتى أجريت الانتخابات، فاختار أن يكون رئيسـا لمجلس الشـيوخ. ولعل فى اختياره لمجلس الشيوخ دون الوزارة بعض ما كان يراود نفسه من رغبة عن الوزارة. وفى مجلس الشيوخ تتجلى مواهبه القانونية، فقد ظلت روح رجل القانون تسود نواحى تفكيره، فقد كانت تسيطر عليه وهو يرأس تحرير «السياسة» ويكتـب افتتاحيتها كل يوم. وتلم به وهو يُشَـرِّعُ لـوزارة المعارف نظمها التعليميـة الجديدة وبـرزت فى تمامها وكمالها حين أصبح المُشـرِّع الأول للدولة، وتوهَّجت فى سناها الباهر حين رأس وفد مصر فى الجمعية العامة للأمم المتحدة، وفى اجتماعات المؤتمر البرلمانى الدولى.

ويبقى هيكل رئيسـا لمجلس الشـيوخ على كثرة ما توالى على البلاد من وزارات، حتى ولِىَ الوفدُ الحكمَ مرة أخرى، ودُعِىَ مصطفى النحاس

لتأليف الوزارة بعد فوز حزبه بالأغلبية، فأصدر بعد شهور من توليه الحُكمَ مرسوما بتعيين زكى العرابى رئيسا للمجلس مع إسقاط العضوية عن آخرين فى ١٧ يونيو سنة ١٩٥٠.

ويتجلى الفارق - من وجهة نظر الدكتور هيكل - فى ممارساته السياسية وتقييمه لها، بين موقعه فى الصحافة والوزارة ومجلس الشيوخ، فى ما ذكره بمذكراته بالجزء الثانى حينما قال: وبين نظرة الصحفى وبين نظرة الوزير أو رئيس الشيوخ للحوادث فرق كبير يجعل النظرتين تختلفان اختلافا كبيرا؛ فالصحفى ناقد يجلس فى شرفات المتفرجين ليرى ما يقع على مسرح الحوادث ويبدى رأيه فيه معارضة أو تأييدا. أما الوزير ورئيس الشيوخ فيقف على هذا المسرح ليكون موضع نقد الصحفى وحكمه، وشتان بين الموقفين. صحيح أن الصحفى كالناقد، ليس أيهما متفرجا عاديا، وليس أيهما لذلك متأثرا ذاتيا بما يقع على المسرح كسائر المتفرجين وكفى، بل هما يؤثران بما يكتبان عن طريق الرأى العام فى أعمال الوزراء والمسئولين على اختلاف اتجاهاتهم تأثيرا مباشرا، وذلك ما جعل الكثيرين من الكتاب الدستوريين يصفون الصحافة بأنها سلطة رابعة فى الدولة، لها من النفوذ فى لشئون العامة ما للسلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية. والصحفى كالناقد فى الأدب أو فى العلم، إلا أنه يتعرض للشئون العامة كلها، وهو كالناقد وكالمتفرج يقف دائما على مسافة من المسرح، ولا يزج بنفسه فى غماره، وهو مَنْ قَارَبَ المسئولين ليؤيدهم فيما يقتنع بوجه الحق فيه أو ليصد عنهم صولة

المعارضة إن هى بالغت أو تنكبت سبيل الرشاد، فلن تبلغ مقاربته حد الاشتراك فى المسئولية، ذلك بأنه غير مطالب بتأييد ما لا يقتنع به ما كان صحفيا نزيها جديرا باسم الصحفى النزيه. أما الذين يؤيدون خوفا أو طمعا، فأولئك ليسوا جديرين بالانتساب إلى الصحافة[1].

## الأستاذ فكرى أباظة

المفارقات المضحكات فى حياة الأستاذ فكرى أباظة - رحمه الله - كثيرة منذ ميلاده، فهو يحكى أنهم أخبروه أنه عند ولادته لم يبك.. واستمر كذلك فى طفولته لا يبكى.. حتى إنهم كانوا «يشكشكونه» بالدبابيس حتى يتألم ويبكى إلا أنه قد خيب ظنهم ولم يبك.. وظل يضحك طوال حياته!

ومنها أيضا أنه كان من ساقطى القيد، فعلى الرغم من ثراء العائلة الأباظية، فقد أراد عمدة البلدة أن يجامل والده، فلم يسجل اسم ولده فى دفتر المواليد، حتى يوفر عليه دفع بدلية التجنيد!

إلا أن هذه الواقعة قد أفادت الأستاذ فكرى فيما بعد. حينما أراد أن يرشح نفسه لعضوية مجلس النواب. فى الوقت الذى لم يبلغ فيه سن النيابة بعد! وقد حَلّ هذا الإشكال بأن أبلغ قسم البوليس ضد والده لأنه أهمل قيده.. وقدم الوالد إلى المحكمة التى حكمت عليه بغرامة قدرها عشرة قروش مع إثبات مولد الابن، بالتاريخ الذى أراده،

(١) د. محمد حسين هيكل (١٩٥٣). مذكرات فى السياسة المصرية. جـ٢. ص ١٨.

والذى يوافق – طبعا – سن الانتخاب، فكان له ما أراد، بإضافة أربع سنوات لعمره[1].

فى كتابه «شخصيات لا تنسى» يذكر الصحفى الكبير الأستاذ مصطفى أمين – رحمه الله – أن فكرى أباظة، حينما كان يكتب مقالا فى الأهرام، فى عشرينيات القرن الماضى، كان باعة الصحف ينادون على الجريدة صائحين «فكرى أباظة الأهرام».. ذلك أن مقال فكرى أباظة الساخر الضاحك كان يبيع الجريدة أكثر مما يبيعها نبأ استقالة الوزارة! ثم يذكر مصطفى أمين واقعة طريفة لا يمكن أن تصدر إلا من فكرى أباظة، فحينما أصبح اسمه على كل لسان، وجاء موعد الانتخابات، بحث فكرى أباظة عن دائرة يرشح نفسه فيها لعضوية مجلس النواب فلم يجد دائرة واحدة خالية، فنشر إعلانا فى الصحف، هذا نصه: «شاب فى مقتبل العمر، سنه فوق الثلاثين، متين العضلات، معتدل القوام، من أسرة طيبة، حسن السلوك، حامل لشهادة الليسانس، سبق له الاشتغال بالمحاماة فى أسيوط ومصر (يقصد القاهرة) ويحترفها الآن فى الزقازيق، يرغب فى ترشيح نفسه للبرلمان، ولكنه لا يجد دائرة، فهل عندكم دائرة ؟!».. انتقد على ضعفه سعدا على قوته، وعدلى على عزته، وثروت على سطوته. وكان ولايزال أجرأ مصرى على المندوب لسامى البريطانى اللورد اللنبى

(١) عباس خضر (ب.ت.). صحفيون معاصرون. دار الكرنك بالقاهرة. ص ٨١.

الجبار صاحب الحديد والنار، ورشح سعد زغلول ضده عمر مراد بك».
وتصور فكرى أنه سيكتسح مرشح سعد، فمصر كلها تعترف بخفة دمه، وتتشوق لمقالاته وقفشاته ونكاته وسخريته ومقالاته الضاحكة!
ويعلق مصطفى أمين على ذلك بقوله: ولم يدخل فكرى أباظة البرلمان إلا عندما ترك له سعد زغلول دائرة سنهوا بمحافظة الشرقية وطلب من جميع الأحزاب أن لا تقدم أى مرشح لمنافسته. ودخل فكرى أباظة البرلمان وصال وجال، وهز رئيس الوزراء عدلى يكن، وهاجم الوزراء، وكان سعد زغلول رئيس مجلس النواب، فكان يسكت النواب الذين يقاطعونه، ويمنع النواب الذين يهاجمونه، ويحميه من محاولات بطش الأغلبية، ومعاكسة الأقلية.

ويروى مصطفى أمين هذه الواقعة: ذات يوم وقف فكرى فى حفلة ذكرى محمد فريد، وأخذته الحماسة وطعن فى سعد زغلول والوفد المصرى والبرلمان، فلما عقد المجلس جلسته الأولى بعد ذلك الخطاب أحس فكرى أن جميع النواب يتنمرون له، ويتآمرون عليه، ويعدون خطة لفصله من عضوية البرلمان لأنه اعتدى على كرامة البرلمان، وبدأ الخطباء يهاجمونه بشدة وقسوة وعنف، والمجلس يؤيدهم والأغلبية تناصرهم، والوزراء يصفقون لهم، ولكن سعد زغلول فاجأ الجميع بقوله: إن الكلام الذى قاله النائب المحترم إنما قاله خارج المجلس، فمن أراد أن يرد عليه، فليرد عليه خارج المجلس، وأنا لا أسمح بهذه الحملة على حضرة النائب المحترم!

واستطاع الزعيم سعد أن ينتذ فكرى من هذا الكمين المدبر، ولم يخطر ببال فكرى أن الرجل الذى هاجمه بأقسى الكلمات هو نفسه الذى يمد يده لينقذه من الغرق. وقد اعترف فكرى أن سعدا أسره بهذا الجميل الذى لم يكن يتوقعه منه، وذهب فكرى إليه فى مكتبه وقال له: جئت أشكرك! قال سعد: لماذا ؟ فقال فكرى: لأنك دافعت عنى! قال سعد: أنا لم أدافع عنك.. إننى كنت أدافع عن حرية الرأى. قال فكرى: ولكنى شتمتك! قال سعد: لا يهمنى أن تشتمنى مادمت كنت تدافع عن استقلال بلادى. أنت تريد أن تكون سوّاق زعماء تلهب ظهورنا، لتدفع بالعربة إلى حيث تريد! أنت مجنون! نحن لسنا فى حاجة إلى كرابيج تلهبنا، ضمائرنا هى كرابيجنا! قال فكرى: إن لم يركب أمثالنا من الناشئين على أكتافك، ويشتهروا بأنهم يتجرأون عليك، ويطعنون فيك فمتى نظهر ومتى نشتهر؟! فقام سعد وقبَّل فكرى أباظة وقال له: أرحتنى الآن.. اذهب واشتمنى كما تشاءُ[1]!.

ويذكر أن فكرى أباظة باشا قد التحق بالحزب الوطنى (القديم) منذ عام ١٩١٧. وانتخب فى اللجنة الإدارية عام ١٩٢١، وكان من القلائل المخلصين الذين ثبتوا على مبادئهم. وظل يحتل مكانته فى المعارضة ممثلا للحزب الوطنى طول مدة النيابة[2]. ومن ثم فإنه ينعى على

(١) مصطفى أمين (١٩٨٨) شخصيات لا تنسى. الجزء الثانى. دار المعارف بمصر. ص ٩١.

(٢) طاهر الطناحى (١٩٥٢). بولدوج.. باشا. مجلة الهلال، عدد مايو ١٩٥٢، ص ٢٩.

بعض المنتفعين تنقلهم من حزب إلى آخر، حسبما يتفق مع مصالحهم، بغض النظر عن المبدأ والانتماء، وفى هذا يقول - وكأنه يعيش بيننا الآن - ذاع التنقل بين الأحزاب وشاع فى مصر، فهان على الحزبيين السياسيين- حتى الممتازين منهم - أن يخلعوا رداء حزبهم ليرتدوا رداء حزب آخر. وتكرر هذا مثنى وثلاث ورباع، والعجيب أنه كلما هان ذلك على هؤلاء، هان على الأحزاب أيضا ففتحت أبوابها على مصاريعها لاستقبال المتسللين الطارقين، والهاجرين المقبلين، والفارين اللاجئين. ولست أظن أن هذا أمر مغتفر، بل أنصح كل ناشئ يقدم على ميادين السياسة أن يتردد كثيرا قبل الانضمام إلى حزب من الأحزاب. اللهم إلا إذا وثق من قوة إرادته، وشدة مراسه، ومناعة كرامته فلم تلجئه الظروف فى المستقبل أن يفعل مثل ما فعل هؤلاء المتسللون الفارون المهاجرون.. «سقطة» لا تغتفر فى تاريخ السياسى أن يكون قد تنقل بين الأحزاب. فالصمود فضيلة ورأس مال. ولئن لم يذكر الناس التاريخ كثيرا فإن هناك مؤرخين سيرصدون التاريخ على حقيقته للأجيال المقبلة، ولن تكون صفحة هؤلاء - بأية حال - صفحة بيضاء[1]..

(١) فكرى أباظة (١٩٥٠). علمتنى السياسة. مجلة الهلال عدد ديسمبر ١٩٥٠. ص ٢٤.